الرواية

عبد الهادي رويس

1

الاسم (نجيب)، وحيد في دنيا الناس، لا يخالط أحدا من البشر إلا نفسه وعائلته والقليل من الأصدقاء المقربين، لكن غرفته مملوءة بالكثير من الناس حتى لم يعد هناك مكان شاغر لواحد جديد، ومع ذلك سيجد (نجيب) مكانا رغم أنف الدنيا ورغم أنف العالمين. مَن هؤلاء الناس يا ترى؟! إنهم الكتّاب والمؤلفون.. العلماء والمفكرون، الغرفة ملأى بكل أنواع الكتب في مختلف المجالات، هناك كتب الروايات الممتعة وكتب الأديان وكتب الفلسفة والسياسة والأدب العربي والغربي... المهم أن (نجيب) لا يترك مجالا إلا اقتحمه اقتحام الجسور، لا يخاف شيئا. لـ(نجيب) صديق حميم لكنه ذميم، لا يملك من الجمال ما يكفي هذا ما جعله يتجه للثقافة والفكر، لو أردت أن أقرب لك صورته قليلا لقلت أنه يشبه (جون بول سارتر) يضع نظارات تقبع خلفها عيون حولاء مع جلد مترهل شيئا ما وله كرش مزعجة للنظر مترهلة غير متماسكة، اسم هذا الشاب (نصر) وهو صديق مقرب لـ(نجيب)، ولولا اشتغالهما بالثقافة لما أمكن الجمع بينهما فكلاهما انطوائي إلى أبعد الحدود، تعارفا في سوق الكتب المستعملة، كان (نجيب) ينقب عن كتاب المنقذ من الضلال للغزالي، لأن خاصته فقد من المكتبة ولا يدري أين هو، فتوجه إلى

السوق ليجد نسخة جديدة قديمة. هناك تعرف كلاهما على الآخر تعارف شابين في العشرينات الأول (نجيب) والثاني (نصر).

******

قال (نصر): الحمد لله الذي عرّفني بك يا (نجيب) فقد دللتني عندما التقينا في سوق الكتب المستعملة العام الماضي، على كتاب من أنفس الكتب وعلى كاتب وعالم وفيلسوف من خيرة الناس. كتاب المنقذ من الضلال أنقذني شكرا لك.
قال (نجيب): إن أبا حامد قليل أمثاله، لقد أثر في المسيرة البشرية بشكل مبهر، كتاباته تجعل الحليم حيران.
- نعم بكل تأكيد، لقد اقتنيت أعماله الكاملة من سوق الكتب المستعملة بسعر متواضع، والله يعلم لو كان البائع يعرف ما فيها لباعها بوزنها ذهبا.
- هذه قمة الحكمة، أبو حامد فريد كل الأزمان، بعد قرون وقرون ولا زالت كتاباته تشبه المعجزة.. إنه فعلا حجة الاسلام بكل استحقاق.
بيت (نجيب) متواضع: غرفتان ومطبخ وحمام لا أكثر، إن نجيب فقير، وكتبه هي كل ما يملك. لكن رزق بأخت طيبة القلب (كريمة) تعمل تدبر مصروفاته، وهو لا يعمل لأنه مشغول بالكتب ويرجو أن يكون كاتبا يوما ما، المسألة مسألة وقت.

والدته (رضوى) ووالده (أحمد) من الناس البسطاء يعيشان في البادية، ولا يمر يوم دون أن يتصلا به على الهاتف اطمئنانا عليه.

-ترننن ترنننن!!

رفع (نجيب) الهاتف، وهو الآن يستمع إلى صوت الحنان ويتمتع بفؤاد الأم الغالية.

-أهلا يا ولدي، كيف حالك؟ هل ما زلت بين تلك الكتب المغبرة، ألا تفعل شيئا لتخرج من قوقعتك وتعمل شيئا يفيدك ويفيد مستقبلك، ألا زلت لا تستحي من أخذ المال من أختك المسكينة، ألا تريد أن تعمل شيئا......... ألا!!! ألا!!! ألا!!!.

أتراجع عن قولي ليس هناك حنان ولا فؤاد، هناك فقط المزيد من التذمر والشكاوى. ماذا نعمل؟! الأمهات يردن الخير لأولادهن، والخير عندهن لا يتعدى مدخولك الشهري ومكانتك الاجتماعية خصوصا إذا كان أصلك من البادية.

-نعم يا والدتي سأخرج من قوقعتي لكن طمئنيني على والدي، كيف هي صحته؟

-إنه بخير لكن تأتيه بين الفينة والأخرى نزلات برد تجعله طريح الفراش لأيام. إنه يريد التحدث إليك.

-أهلا يا بني كيف هي صحتك؟ ألا زلت تقرأ بدون فائدة، لم نر منك درهما ولا دينارا، ألست من المثقفين كما تدعي، أين هو المال، إننا أثقلنا كاهل أختك التي تنفق عليك وأنت الرجل يا حسرة.

-حسنا يا والدي لا تستعجل، كل عمل له ثمر، لكن الثمر لا ينضج إلا في وقته، ووقت استفادتي ماديا لم يأت بعد، لقد استفدت معنويا كثيرا كثيرا فكنت صالحا على ما أعتقد بارا بكما والمادة ستأتي في وقتها إن شاء الله.

هنا قال له الوالد: نرجو ذلك ! دمت سالما يا ولدي.

******

2

تحب (سلمى) وهي الأخت الأخرى لـ(نجيب) الكسكس كثيرا لكنها ظلت طيلة سني دراستها في الخارج لا تأكل منه ولا لقمة إلا عندما تأتي إلى المنزل في المغرب، لماذا؟! لأنه لا كسكس في العالم يشبه الخاص بوالدتها، إنها مهووسة بيد أمها الطاهية الماهرة، لذلك اليوم بعد أن حصلت على شهادتها في الهندسة وأتمت دراستها أتت إلى المغرب، لتلتقي بوالديها وأخويها.

اجتمعت الأسرة في المنزل في البادية وكان هناك حديث، فكم يحلى الكلام مع الأحباب بعد طول غياب.

قالت (سلمى): أهلا بالأحباب والله كم اشتقت إليكم. أماه نريد الكسكس اليوم فلم أذقه مدة طويلة.

-حسنا يا ابنتي إنه جاهز، كما عودتك دوما، كلما أتيتِ الكسكس بين يديكِ.

-شكرا.. شكرا.

التفتت إلى أخيها قائلة : كيف حالك يا أخي؟

قال: الحمد لله. أتعلمين أن أمي لا تتقن الكسكس طهوا إلا عندما تكونين، أما عندما آتي أنا إلى هنا فإن الكسكس يعوم في الماء، واللحم إشاعة !

ضحكت (سلمى) ملء شدقيها ثم قالت: ماذا تفعل الآن؟ فأنت أخي ولا أعلم عنك إلا القليل، إنك غامض.. لا أعرف عنك شيئا.

قال: إني أكتب رواية.

-أعانك الله، إن احتجت شيئا فأنا تحت أمرك.

****

استقرت (سلمى) في المغرب مع زوجها (أمين) في بيت كبير ودعت والديها وأخويها للعيش معها، لكن (كريمة) في عملها تعمل وهي مرتاحة في مستقرها، ولا فراق عن البادية بالنسبة للوالدين ولا فراق لـ(نجيب) عن غرفته التي عاش فيها عمرا بين الكتب. إن البادية بالنسبة لـ(رضوى) ليست مكانا للعيش فقط؛ إنها متنفس لا حيلة لها في تركه، البادية هي المكان الذي ترعرعت فيه وأنجبت وعلمت فيه أولادها. كانت امرأة متعلمة تعليما أخرجها من زمرة الأميين؛ فهي تعرف القراءة والكتابة لكنها لا تقرأ ولا تكتب، لكن كانت تعرف لهاتين قيمتهما فكانت تعلمهما لأولادها ولذلك فهما متعلمان الآن إلى أبعد الحدود خصوصا (نجيب) الذي زرع فيه حب المطالعة والتثقف فلا يترك كتابا إلا والتهمه ولذلك هو الآخر لا يستطيع ترك غرفته التي عاش داخلها سنينا بين العلماء الأحباب و الفلاسفة الأصحاب.

****

تمكن (نجيب) أخيرا من كتابة روايته بعد أن طال الأمد وطال انتظار الأخت الرقيقة، فهو يؤجل ذلك مرارا وتكرارا، لكن بما أنه الآن يشعر أنه على استعداد .. لذلك أتم الكتاب. علمت العائلة وعلم الأصدقاء وعلم (نصر) كذلك، اجتمعوا في بيت (سلمى) محتفلين جميعا، فتمت السلوى وحلت العقدة وأصبح لـ(نجيب) أصدقاء جدد وبدأ يدر مدخولا فرحت به الأم والأب فرحا جما سبب لهما السعادة، وعلما أنه لا يوجد شيء ثمين في هذه الدنيا أكثر من الاستثمار في الذات، فالحمد لله لقد حققت الرواية شعبية كبيرة وكثر مريدي (نجيب)، لذلك كان لزاما عليه وهو ذلك الانطوائي أن يتعامل مع العديد من رسائل المعجبين والكارهين على حد سواء.[تمت]